أحزاب ما بعد ١٩٤٨ ونشوء المقاومة

بقلم : ابو انمار

تستعرض هذه الدراسة، التي نشر الجزء الاول منها في العدد الماضي من «الهدف» ، نشأة الحركة الصهيونية وبروزها كقضية وتواطؤها مع الامبريالية ، ومؤامراتها وتحالفاتها في الامم المتحدة عام ١٩٤٨ ، وذلك في نظرة اخرى الى جذور المسألة الفلسطينية بمناسبة الذكرى الـ ٢٣ لـ ١٥ ايار .

وفي هذه الحلقة الثانية والاخيرة من الدراسة ، يكمل الرفيق «ابو انمار» دراسته في التطور الذي طرأ على خارطة القضية الفلسطينية منذ ١٩٤٨ .

« الهدف »

لقد تبلور الوعي القومي والوطني للعرب في بداية القرن العشرين ، بحكم عوامل تحدثنا عنها في مكان آخر من هذه الدراسة ، عبرت فواهم السياسية ، الوطنية والقومية ، عن هذا الوعي بالانتفاضة المسلحة ، ضد العثمانيين الى جانب الحلفاء ، بقيادة المثقفين والضباط العرب ، الذين شعروا بان مطامحهم القومية لا يمكن ان تتحقق الا بالانفصال عن الامبراطورية العثمانية ، (التي اصبحت تدعى بالرجل المريض) بانجاز الاستقلال وتحقيق الوحدة للاقطار العربية ، وقد كان ابرز القيادات التي ظهرت في هذه الفترة من الاسرة الهاشمية ، وتوصلنا الى نتائج ، تدين عجز وتخاذل وخيانة معظم القوى الطبقية والسياسية والدينية التي تصدت لقيادة الحركة الوطنية ، وبالتالي فلم تتمكن من تحقيقه الشعارات التي حدثت الانتفاضة العربية من اجلها ، وهذا راجع الى بنيتها الطبقية، وعقليتها العشائرية المتخلفة ، وارتباط بعضها بالاستعمار، لهذا فان ما افرزته هذه المرحلة من حكومات للاقاليم العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى والثانية كانت تعبيرات طبقية وسياسية وعشائرية مرتبطة بالقيادات التي تواطأت مع الامبريالية ، وفي مقدمتها الاسرة الهاشمية .

فبالتأكيد ان مواقفها ستكون امتدادا لمواقف الطبقات التي قادت العمل الوطني في عام ، ١٩١٦ ـ ١٩٩٧ والذي تمثل بتواطؤ وتعاون مشبوه مع الحلفاء الذين صنعوا ١٥ ايار ١٩٤٨ فيما بعد .

لهذا كررت هذه القيادات التي اصبحت في عام ١٩٤٨ حكومات لدول عربية شبه مستقلة ، سيرتها المتواطئة مع الاستعمار عندما قبلت الهدنة مع اسرائيل وتجرعت هزيمة جيوشها السبعة في حربها ضد العصابات الصهيونية ، بل راحت اكثر من ذلك تعمل بكل جهدها لتقيد نضال شعب فلسطين والحد منه ، وتتآمر عليه خدمة لمصالحها المرتبطة بالامبريالية ، ومن جهة اخرى قدمت تنازلات للصهيونية واسرائيل ابرزها تنازل قائد الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨ ، الملك عبدالله عن مدينتي اللد والرملة ، لاسرائيل وبعد ان اكمل المساومة وتمت الطبخة مع الطبقات الرجعية الفلسطينية والاستعمار بدأت قصة ضم الضفة الغربية الى امارة شرق الاردن لكي يتمكن من الايفاء بوعده للصهاينة والحلفاء ، في منع شعب فلسطين من النضال ضد الصهيونية واسرائيل ، طبعا بالتعاون مع الطبقات الرجعية والاقطاعية الفلسطينية التي كانت تقود المجالس البلدية والحركة الوطنية آنذاك (حيث عقد ممثلو هذه الطبقات مؤتمرا في اريحا في الاول من شهر كانون الاول عام ١٩٤٨ اقروا فيه ضم الضفة الغربية الى سلطان الملك عبدالله ، وكان رئيس المؤتمر الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، وفي ٢٤ نيسان ١٩٥٠ تمت عملية ضم الضفة الغربية بشكل رسمي مع امارة شرقي الاردن تحت اسم المملكة الاردنية الهاشمية) (١١) وبهذه الوحدة المشبوهة حقق الملك عبد الله والاستعمار البريطاني مطامحهما : حيث تمت للاول السيطرة على اراضي الضفة الغربية وشعب فلسطين ، واطمأن الاستعمار واسرائيل من الخطر الرئيسي الذي كان يهددهم وهو شعب فلسطين حيث يسكن اكثر من نصفه في هذه المنطقة ، ومن اطول حدود عربية معها ، مقابل تعهد الملك عبد الله بان يضرب بقوة على حركة نضال الشعب الفلسطيني والاردني المعادي لاسرائيل والاستعمار، ومنع اي جيش عربي يريد قتال اسرائيل من عبور الاراضي الاردنية الفلسطينية ، ولم يعش الملك عبدالله طويلا بعد ذلك ، ودفع حياته ثمنا لذلك (١٢) .

الحركات والاحزاب السياسية التي نشأت بعد أيار ١٩٤٨

في كل أمة من الامم عندما تهزم ، تحدث ردود افعال ثورية مضادة لهذه الهزائم ، وتلعب دورا مهما في عملية تحويل الهزائم الى انتصارات اذا ما تلمست القوى الوطنية التي افرزتها ردود الافعال ، عوامل الهزيمة واسباب النصر .

وفي الوطن العربي ، وبالاخص منطقة الشرق العربي ، نشأت عدة حركات واحزاب سياسية اقليمية وثورية واممية ، قامت بأدوار مختلفة في النضال العربي في تلك الفترة والتي تعتبر فترة صراع عنيف مع الاستعمار والصهيونية ، ولكي يتضح دور هذه الحركات والاحزاب لا بد ان نقسمها الى قسمين ونحدد طبيعة نضالها وتكوينها الطبقي وبرامجها وطريقتها في الرد على الهزيمة التاريخية التي حدثت للامة العربية ، ومن خلال هذا الاستقراء يمكن ان تتضح الصورة لنا : هل ان هذه الاحزاب مثلت فعلا حالة ثورية جديدة ؟؟ تمكنها من الرد على الهزيمة بتعبئة وتنظيم الجماهير لمعركة الصراع القومي مع اسرائيل والامبريالية ؟؟

الاحزاب والحركات القومية والوطنية التقليدية

مثلت الاحزاب القومية والوطنية التي ولدت بعد الهزيمة، في عام ١٩٤٨ حالة سياسية وطنية محدودة ، وتشكلت قياداتها من طبيعة طبقية واضحة ، برزت في تلك المرحلة من نضال الامة العربية ، ولكي تكون اكثر وضوحا في فهم ممارساتها النضالية ، وقدرتها في الرد من عدمه لا بد ان نبين عددا من الصفات(١٣) الطبقية والسياسية والايديولوجية لهذه الحركات وبعدها نبين الحكم على ذلك :

■ الصفة الاولى : انطلاقا من فهم هذه الحركات للمسالة الوطنية والقومية التي تميزت بالعمومية والضبابية ، جعل قياداتها تنحصر في طبقة معينة من المواطنين هم ابناء الطبقة البرجوازية وابناء الاقطاع المثقفين .

■ الصفة الثانية : محصلة حاصل للطبيعة الطبقية القائدة لهذه الحركات ، تميز تفكيرها بالجمود والرجعية ومقاومة التجديد والعدل الاجتماعي .

■ الصفة الثالثة : ارتبط قسم من هذه الحركات الوطنية بجهات اجنبية امبريالية وفقدت منابعها الداخلية .

■ الصفة الرابعة : استمدت هذه الحركات مفهومها للقضية الوطنية من المفاهيم الرومانسية والعاطفية التي بشر بها رواد الفكر في القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن العشرين .

■ الصفة الخامسة : كما تميز عمل هذه الحركات ، اضافة الى ما تقدم ، بالعجز الكامل عن اداء الدور المطلوب ان تؤديه لخدمة القضية القومية التي قامت من اجلها ، وكان نضالها الوطني ينحصر في الصالونات واروقة البرلمانات المزيفة والصحافة الصفراء ، هذه المؤسسات التي زيفت ارادة الجماهير العربية واصبحت قيدا على نضالها وتقدمها ، وعاليا بدلا من ان تلعب دور تعبئة الجماهير وتنظيمها وتحريضها على دول الامبريالية التي صنعت اسرائيل ، وتتجه بروح علمية ديمقراطية ، بانشاء علاقات مع الدول التقدمية والصديقة في العالم ، راحت بسبب منشأها الطبقي والسياسي والايديولوجي تهادن مع الدول الامبريالية صانعة « ١٥ ايار » وتعادي الحركة الشيوعية العالمية والمعسكر الاشتراكي ، بل جعلت هدفها الاساسي معاداة الشيوعية وكان الاتحاد السوفياتي هو الذي اوجد اسرائيل !

هذا هو موقف الاحزاب والحركات الوطنية التقليدية من هزيمة ١٩٤٨ ؛ موقف تميز بتمييع حركة الجماهير ، وامتصاص فاعليتها ، وصبها في قنوات بعيدة كل البعد عن الدور الوطني الثوري لهذه الجماهير ، والذي كان من المفروض ان تقفه ضد الاعداء الاسرائيليين .

موقف الاحزاب الشيوعية من هزيمة ايار ١٩٤٨

قبل ان نحدد موقف الاحزاب الشيوعية في الهزيمة لا بد ان نطرح جملة حقائق تاريخية وعلمية حتى لا نكون متسرعين في طرح الجانب السلبي ، وترك الجوانب الايجابية في نضال هذه الاحزاب ضد الاستعمار والامبريالية ، فهذه الاحزاب لعبت دورا مهما في تعبئة وتنظيم جماهير العمال والفلاحين ضد الاستعمار ، وفق افكار ومبادىء الماركسية ـ اللينينية ، وهي منذ تأسيسها وحتى يومنا هذا تناضل نضالا مريرا ضد الرجعيين والمستغلين ، كما انها مثلت حالة ثورية افضل في تلك الفترة من النضال ولها الدور الرئيسي في نقل الافكار الثورية الى الوطن العربي ، بل ان العديد من اعضائها وجماهيرها قاتل ضد اسرائيل ، واستشهد العديد منهم ولو بشكل فردي ، الا ان موقف الحركة الشيوعية العالمية قاد الاحزاب الشيوعية العربية الى موقف معادي لطموحها الوطني والتزامها الايديولوجي ، الذي يؤكد على اهمية المسألة الوطنية وارتباطها بالنضال الطبقي والاممي، بل ان اللينينية هي « دليل على ان الشيوعية كنظرية كانت ضد مسالة تقسيم فلسطين وانشاء وطن قومي لليهود باسم اسرائيل « بل ان الماركسية ـ اللينينية تربط بين النضالين الوطني والاممي ، وعلى هذا الاساس فان التزام الاحزاب الشيوعية العربية الايديولوجي ، وانتماءها الوطني يفرض عليها اتخاذ موقف يختلف عن موقف الاتحاد السوفياتي آنذاك. وهو النضال ضد اسرائيل ووجودها ، لا ان تنجر وراء القيادة الستالينية ، علما بان هذا الموقف لم يكن اجماعيا من الاحزاب الشيوعية العربية، حيث وقف الحزب الشيوعي السوداني موقفا معاديا لاسرائيل منذ قيامها وحتى الان ، حتى انه نص في برنامجه التزاما نضاليا لازالة كيان اسرائيل كما ان قسما من الاعضاء رفض الالتزام بالموقف الستاليني ، ومثالنا موقف فرج الله الحلو (احد الاعضاء القياديين في الحزب الشيوعي السوري) الذي رأى في قيام اسرائيل قاعدة للامبريالية وضد ارادة الامة العربية ومخالفة لالتزامه الايديولوجي « الماركسي ـ اللينيني » .

لهذا فان الدور الذي كان على هذه الاحزاب ان تلعبه في سبيل تحويل الهزيمة الى فاعلية ثورية جديدة تصنع القوة القادرة على مواجهة التآمر الامبريالي والصهيوني وتعبىء جماهير الشعب العربي من اجل ازالة آثار ١٥ ايار ١٩٤٥ لم يتحقق .

من هنا نستنتج ان عموم الحركة الوطنية القومية والشيوعية عجزت عن استيعاب دروس هزيمة ١٩٤٨ ، ولهذا نهضت البرجوازية الصغيرة للقيام بمهام الثورة الوطنية ، بعد الافلاس البرجوازية الكبيرة المتحالفة مع الاقطاع بادائها لمهامها القومية والاجتماعية ، اضافة الى عامل الهزيمة الذي اثر بهذه الطبقة الناهضة سياسيا دفعها الى العمل على الاطاحة بالحكومات التي اسهمت بتواطئها مع الامبريالية ، بالهزيمة وذلك باستعمال المؤسسة العسكرية التي تعتبر من اقوى فئات البرجوازية الصغيرة في وحدتها وقدرتها على التحرك والتغيير لهذا جاءت الانقلابات العسكرية الوطنية التي قامت بها هذه الفئة تلبية للحالة الثورية التي بدأت تتصاعد تدريجيا وتعمل لتأسيس سلطاتها الجديدة ، وفي مقدمة سلطاتها في الوطن العربي كانت السلطة التي جاءت بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، والتي اعطت المثل الحسي للثوار التي تبعتها فيما بعد .

وقبل ان نطرح مهام هذه الثوار ومنجزاتها الوطنية لا بد من اعطاء صورة سريعة عن طبيعة المؤسسة العسكرية العربية وعلاقتها بالطبقات الاجتماعية وموقفها من الحركة الوطنية ، لانها كانت انشط الفئات البرجوازية الصغيرة التي قادت التغيرات الهامة في الوطن العربي .

■ اولا : ـ نشأت المؤسسة العسكرية في الوطن العربي كأداة لخدمة الطبقات الحاكمة واداة قمع بوليسية ضد الجماهير وارادتها وبالرغم من نشأتها هذه استوعبت في صفوفها العديد من ابناء العمال والفلاحين والبرجوازيين الصغار الذين استلهموا القضايا الوطنية وبعض مظاهر الصراع الطبقي ، مما اهل شرائح البرجوازية الصغيرة العسكرية ان تسهم بشكل فعال بقضايا التغيير الثوري الجديد .

■ ثانيا : ـ لقد عبرت فئات الجنود وصغار الضباط عن ايمانها الوطني والقومي داخل الجيش بمظاهر الرفض للاوضاع اللاوطنية السائدة في المجتمع كما لمست حالة التناقض بينها وبين القادة العسكريين .

■ ثالثا : ـ بدأ هذا التململ السياسي الوطني داخل الجيش وتطور بشكل اعطى احسن الفرص لنمو برجوازية عسكرية صغيرة(١٤) استجابت للدوافع الوطنية والطبقية واخذت على عاتقها تحقيق الانقلابات الوطنية التي حظيت بتأييد الجماهير والقوى التقدمية .

■ رابعا : ـ ان هذه البرجوازية العسكرية الصغيرة وجدت اطارها المدني داخل احزاب وطنية متخلفة وهذا بالضرورة اوجد تحالفا بينها وبين البرجوازية الصغيرة التي تتكون منها هذه الاحزاب(١٥) .

السمات الاساسية لأنظمة البرجوازية الصغيرة العسكرية

١ ـ لا تملك رؤية ثورية متكاملة وذلك لطبيعتها الطبقية ولافتقارها الايديولوجي الثوري.

٢ ـ جعلت سلطتها تتسامى فوق الطبقات حينا ونموه على الطبقات حينا آخر(١٦) باستعمالها شعارات الجماهير ، وتمارس سياسة السلم الطبقي القائمة على اساس التآخي بين الطبقات.

٣ ـ لكونها لا تملك حليفا طبقيا دائما ترتبط معه(١٧) ببرنامج عمل وطني لهذا فانها تلجأ الى اسلوب المناورات لا الى اسلوب المكاشفة الجريئة مع الجماهير ، ومنذ عام ١٩٥٢، يوم قامت الثورة العربية ، التي مثلت نمطا جديدا وبداية جديدة لسلسلة الانقلابات العسكرية في المنطقة العربية، ومنذ ذلك التاريخ بدأت المنطقة العربية تشهد تيارات وطنية وقومية كبيرة وجدت لها صدى في اوساط الجماهير العربية وراد من التفاف الجماهير حول الثوار الوطنية التي قادتها البرجوازية الصغيرة ، ما حققته هذه الثوار من انجازات ، وجهت بها لطمة للعلاقات الاقطاعية والرأسمالية عن طريق التأميم والاصلاح الزراعي اضافة الى سلسلة من الانتصارات الجزئية ضد الطبقات القديمة ، مما جعل طبيعة الثورة التي قادتها هذه الطبقة ثورة وطنية ديمقراطية برجوازية .

ولكن هل تمكنت هذه القيادات فعلا من ان تقود ثوراتها في طريق استكمال مهام التحرر الوطني الديمقراطي ؟

بالطبع لا .

وذلك لطبيعتها الطبقية العاجزة وسياستها المعادية للديمقراطية ، وكذلك طريقة استلامها السلطة ، اضافة الى عدم وضوح رؤيتها الاقتصادية واصرارها على التمسك بالمكاسب والامتيازات التي حصلت عليها بعد استلام السلطة ، فمن غير المعقول ان تلتزم ببرنامج جذري يهدد مصالحها الطبقية ومستقبل قيادتها، لهذا فان الثورة التي تقودها طبقة ليست اهلا لقيادتها وما تقوم به من مهمات بفرض ان تقوم بها الطبقة العاملة ، اذن وجدنا مجمل ما حققته من انجازات وطنية واقتصادية تحولت في الاخير الى عوامل عجز لانها دخلت بمهام ثورة غير قادرة على السير بها الى نهايتها الحاسمة بالرغم من ان ما حققته هذه القيادات تعتبر من مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ، لكنها عجزت وهذا أمر طبيعي ، ليس لان الاشتراكية تتنافى وطبيعتها الطبقية ومصالحها فحسب ، بل لان هذه هي طبيعة قيادة البرجوازية الصغيرة في جميع البلدان المتخلفة التي استلمت قيادة حركة التحرر الوطني فيها حيث تعمل على اخضاع الحركة الوطنية والدولة التي تقودها لافقها الطبقي والايديولوجي والسياسي وبالتالي تعجز عن اداء مهام الثورة التي تصدت لقيادتها ، ومن اهم عوامل العجز :

أ ـ عدم قدرة هذه الطبقة على بناء الاساس المادي للمجتمع الاشتراكي ببناء الصناعة الثقيلة وتنمية الزراعة ولطبيعتها الاستهلاكية فهي عاجزة عن تعويض فائض الانتاج القومي الى عملية تطوير الصناعة والزراعة الى مرحلة اعلى .

ب ـ بحكم تفكيرها الاصلاحي المذبذب بين اليمين واليسار ، لا يمكن ان تقدم على تصفية جذرية للمصالح الاقطاعية والرأسمالية المادية والفكرية بشكل شامل ، مما يؤدي الى بقاء جيوب يمينية كما تحافظ على الواقع الطبقي للجيش دون اي تغيير في حالته التي ورثتها من حكم الطبقات السابقة ، اي جيش رجعي بيروقراطي قائم على اساس استعباد الجنود والتمييز بينهم وبين الضباط بامتيازات كبيرة للضباط .

ج ـ المحافظة على السلطة ومنع نمو حركة الجماهير بقيادة الطبقة العاملة من ان تصل الى مستوى تهديد سلطانها .

د ـ عجزها عن حل المسالة الزراعية بشكل جذري ، ولهذا نرى برامجها الزراعية لا تتعدى الاصلاح الزراعي الذي يستبدل العلاقات الاقطاعية في الريف بالعلاقات الراسمالية .

هـ ـ وبحكم عوامل العجز اعلاه تسلك هذه الطبقة طريق المساعدات الاجنبية من اجل ان تستمر في السلطة وتحل ازماتها الاقتصادية ، وبالتالي فانها تضطر الى لعبة الموازنة الدولية (الحياد الايجابي) التي لها انعكاس على السياسة الداخلية في تنظيم قيادة الطبقات المتناحرة في المجتمع الذي تقوده مما جعلها تطرح شعارات التآخي والتوازن بين هذه الطبقات .

العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦

بالرغم من ان التحليل الذي تقدم اثبت عجز القيادات البرجوازية الصغيرة للثورة الديمقراطية الجديدة ، الا ان قيادة الثورة في مصر في مواقفها الوطنية واجراءاتها المعادية للاقطاع ورأس المال وضعت نفسها على طرفي نقيض مع الاستعمار القديم ومؤسساته حيث وصلت حدة هذا التناقض الى المستوى الذي دفع دول الاستعمار القديم بالتعاون مع اسرائيل لتوجيه ضربة لهذه القيادات في اول فرصة اتيحت لها ، عندما اممت مصر قناة السويس ، بعدوان ثلاثي استهدف اخضاع مصر مرة اخرى لمناطق النفوذ ، الا ان نضال الشعب المصري وتضحيات جماهيره الجسيمة التي حملت السلاح للرد على العدوان، وموقف الاتحاد السوفياتي الذي لعب دورا في قضية ايقاف العدوان، قد افشلا خطة الصهيونية المتحالفة مع الامبريالية .

ان اهم ميزتين تميزت بهما حرب السويس هما طرد الاستعمار القديم (الانجلو ـ فرنسي) وعودة قناة السويس للشعب المصري وثانيهما : قدرة الشعب على قتال الامبرياليين اذا ما اعطي له فرصة القتال .. وبالرغم من ان حرب السويس لم تحقق انتصارا كاملا للعرب الا انها مثلت مظهرا من مظاهر عداء هذه الطبقة للاستعمار وبينت قدرة الجماهير على القتال والصمود بوجه الامبريالية .

كما كان لهذا العدوان اثر كبير في تعميق متاعب هذه الطبقة في علاقتها بالجماهير من جهة (ليس من الناحية السياسية) وبالطبقات التي قوتها في السلم الاجتماعي القديم من ناحية اخرى . فبالنسبة للثانية اندفعت السلطة امام ضغط الجماهير لتقوم بعدة اجراءات ثورية قلصت من نفوذها ومصالحها وحدت من استغلالها للشعب ، اما بالنسبة للطبقات الشعبية فقد قامت بسلسلة من الاجراءات والاصلاحات التي اوصلتها الى مرحلة عنق الزجاجة الذي لا يمكن ان تتجاوزه وبالتالي وضعت في مأزق لانها غير قادرة كما تقدم من ان تنجز مهاما هي غير مؤهلة لانجازها ، بل ان هذه المهام اذا ما تم انجازها بأفق بروليتاري سوف تنقل السلطة للطبقات الاكثر حزما والاكثر جذرية وهذا يعني تصفية لمواقعها السلطوية ، ولهذا فهي لا تجرؤ على طرح برنامج من النوع الذي يوصل البروليتاريا الى قمة الهرم الاجتماعي ، بل بهمها كيف تراوغ وتميع النضال الطبقي ، مما يجعلها تعيش حياة متأرجحة وغير مستقرة تدفعها باستمرار الى مواقع العجز بما يتعلق بالطريق الثوري ، وكذلك بوجه الثورة المضادة سواء كانت داخلية ام خارجية ، وبالتالي لا تقوى على الجبهة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وقد تأكد عجز القيادات البرجوازية الصغيرة الوطنية ، بشكل حاسم ونهائي في دخولها للحرب والهزيمة التي منيت بها في الخامس من حزيران ١٩٦٧ ثم عجزها عن مواصلة القتال بعد الهزيمة .

ما بعد ٥ حزيران مرحلة جديدة

ان ما مثله الخامس من حزيران كان امتحانا صعبا للبرجوازية الصغيرة وقياداتها وبرامجها وشعاراتها ، بل اضافة الى ذلك مثل مرحلة انعطاف تاريخي في مسيرة الثورة العربية حيث مع هذا اليوم ازيح كابوس قيادة البرجوازية الصغيرة عن حركة التحرر الوطني العربية التي عطلت مسيرتها قرابة عشرين عاما .

واذا كان ١٥ ايار ١٩٤٨ هزيمة للطبقات القديمة (الاقطاع والبرجوازية) فان ٥ حزيران ١٩٦٧ هو هزيمة لقيادة البرجوازية الصغيرة وانظمتها .

ان ما حدث بعد هذا اليوم من ردة فعل جماعية مثل هزة عنيفة لكل افكار المجتمع العربي وكذلك لافكار الحركة الوطنية العربية ، كما دفعت المثقفين والمناضلين العرب الى الوقوف بعلمية من اجل اعطاء تحليل نقدي وطبقي لمسيرة حركة التحرر الوطني العربية واسباب تعثرها بمبادرات جريئة تهدف الى كشف الحقائق للجماهير كي تعرف من هي الطبقة التي تصدت للقيادة وما هي المهمات التاريخية التي حققتها ، وما هي الافكار والمبادىء التي التزمت بها ، بل وحتى الاوضاع الاقتصادية والسياسية لهذه الهزيمة ، فاتضح للجماهير صورة هذه القيادات العاجزة ذات البرنامج الديماغوجي الذي تميزت سماته بمحاولة ضبط حركة المجتمع والجدل الاجتماعي ضمن التكوين الايديولوجي والسياسي البرجوازي الصغير ، ومثل هذا التكوين لا ينفصل كليا عن ايديولوجية البرجوازية والفكر البرجوازي اليميني(١٧) .

هذا الفكر الذي يعتبر في التحليل الاخير اقرب الى فكر وايديولوجية اليمين في البلدان المتخلفة ، فهو يخالف ايديولوجية البروليتاريا اكثر مما يخالف ايديولوجية الاقطاع والبرجوازية الكبيرة لانه يحافظ على الكثير من الجسور التي تربطه بفكر تحالف الاقطاع ورأس المال وبالتالي فهو ضد برنامج البروليتاريا لحل معضلات الثورة الديمقراطية ، بل يحافظ على سمات المجتمع الرأسمالي في المدن والعلاقات شبه الاقطاعية الرأسمالية في الريف وعندما يضع خطوات اصلاحية يحاول ان لا يمس هذه السمات بشكل اساسي(١٨) .

لهذا فان هذه القيادة التي جاءت لظروف محلية وعربية ناتجة عن تخلف المجتمع ، وعالميا لانقسام المعسكر الاشتراكي كان عجزها سببا من اسباب الهزيمة ، الذي اكد افلاسها حتى في قدرتها للدفاع عن الوطن ، هذا الافلاس الذي كان الفاتحة لنمو عهد تاريخي جديد تعتلي فيه مسرح التاريخ قوة طبقية جديدة عبرت عن ظهورها بحركة جماهيرية مسلحة لكي ترد على الاحتلال والاستغلال كمحاولة لاستلام المهام التاريخية من البرجوازية الصغيرة .

ان انطلاقة جماهير الشعب الفلسطيني بعد هزيمة ١٩٦٧ مثلت الظاهرة الجديدة للمرحلة الجديدة التي تمر بها حركة التحرر الوطني العربية ، ولهذا اصبحت السمة الوحيدة الاكثر اهمية في الشرق الاوسط بعد حرب حزيران هي هذه الجماهير المسلحة (حركة المقاومة الفلسطينية) .

ما الذي مثلته ظاهرة حركة المقاومة ؟

بدأت ظاهرة الكفاح المسلح كما تقدم بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ردا على الهزيمة وطريقا جديدا اختارته الجماهير للنضال من اجل انتزاع حريتها وحقوقها الوطنية والطبقية في فلسطين ، حازت على اهتمام الرأي العام العربي والتقدمي ، واجبرت الرجعية المهزومة على الركوع والرضوخ لوجودها ، حتى انها اخذت تدعي بأنها الحامي والداعم لحركة المقاومة وطبعا كان هذا الموقف مناورة ذكية من الرجعية والتي كانت في ذلك الوقت عاجزة عن مواجهة هذه الظاهرة التي تحظى باهتمام ورعاية الجماهير الفلسطينية الاردنية ، بل وحتى العربية من جهة ، ومن جهة اخرى فان مؤسساتها القمعية كانت تعيش حالة انهيار مادي ومعنوي وبالتالي فانها ستكون في موقف صعب اذا ما حاولت ضرب حركة المقاومة او تصفيتها ، بالرغم من محاولاتها التآمرية التي باءت بالفشل لاحتضان الجماهير للعمل الفدائي سواء في الاردن او في لبنان .

كما ان هذه الظاهرة كبداية لم تكن بالمستوى الذي يؤثر على مصالح الامبريالية واسرائيل ، لهذا لم تبد اهتماما يذكر للعمل الفدائي في بدايته ، الا ان الوليد اخذ ينمو واخذ يشكل تهديدا لاعدائه بل اصبح قوة عجزت اسرائيل عن تصفيته في اسابيع على حد تعبير وزير دفاعها ، كما اصبحت مركز استقطاب لحركة الجماهير العربية التقدمية ، وبهذه الحالة كبر تهديده لاسرائيل والامبريالية والرجعية ، فانتبهت هذه القوى للخطر الجديد وركزت جهودها متعاونة مع بعض لاجل توجيه ضربة قاتلة تعيق نموه وتحد من خطره ، وامام هذا التوجه العدواني الشرس كان يجب على حركة المقاومة ان تضع الخطط والبرامج العلمية والعملية التي تمكنها من اجتياز المرحلة الصعبة كي لا تقع في فخ الاعداء الذي نصب ليعيق مسيرتها .

ترى هل وعت قيادة حركة المقاومة هذه المؤامرة ؟ وبالتالي فهل تهيأت لوضع المخططات لمواجهة الخصم ؟ طبعا لا لاسباب تتعلق بتفكير هذه القيادة التي تتصور ان شعار عدم التدخل في الشؤون الداخلية للانظمة العربية يمكن ان يشفع لها ، اضافة الى ثقتها الساذجة بالاتفاقات التي وقعتها مع السلطة الاردنية العميلة هذه القيادة بمسلكيتها هذه ، التي تدل على جهل كبير بقوانين الثورة ، غيبت اهم قانون يحكم علاقة الثورة بالسلطة الرجعية وهو قانون (وحدة ونضال المتضادات) .

ان هذا النمط من القيادات التي تسلقت قيادة العمل الوطني الفلسطيني لاسباب تتعلق باوضاع الطبقة العاملة ومستوى تطور المجتمع وفقدان الحزب البروليتاري الثوري الفلسطيني، لا يمكن ان تكون قيادات لحركة تحرر وطني جذرية ، بسبب منشأها البرجوازي الطبقي الصغير ، لهذا عجزت عن استيعاب طبيعة الثورة الفلسطينية ، وقوة خصومها ، وبالتالي ضاعت في دوامة من المزايدات الاعلامية والغرور البرجوازي ، بل انها عجزت عن فهم المهام الوطنية والسياسية التي يجب انجازها في هذه المرحلة فلسطينيا وعربيا وعالميا ، فهي لم تنتبه الى اهم معضلات الثورة بل وان انتبهت فقد غاب المفهوم الثوري لحل هذه المعضلات ، فبالنسبة لمسالة حرب كل الشعب وما يقتضيه هذا الموضوع من بناء جبهة وطنية موحدة تستوعب تجارب الشعوب المناضلة وترجمها ببرنامج عمل ثوري يضمن التطور والتقدم والصلابة للثورة ويهيىء الظروف الذاتية والموضوعية لحرب تحرير شعبية طويلة الامد ، تلغي وتستمد قوتها وديمومتها من حركة التحرر الوطني العربية والعالمية وكما هو موقع فان الظروف لم تمهل هذه القيادة بل اسرعت قوى الرجعية والامبريالية لتصفية الثورة والحد من تطورها ، حيث رمى كل اعداء الثورة بثقلهم في المعركة لكي يضعوا القضية الفلسطينية وطليعتها المسلحة التي